الزجل المغربي والهامش
(تجربة عبد الكريم ماحي أنموذجا)

د. فريد أمعضشو
باحث مغربي

تصدير:

حمل يومُ 16 غشت 2024 الماضي خبرًا مُحْزِنًا بالنسبة إلى الشعر المغربي الدّارج، يتعلق برحيل زجّال دكالة عبد الكريم ماحي، بعد صراع مع المرض، وبعد حياة مليئة بالوجع والألم والتشرد، تاركًا خلْفَه جملة وافرةً من الأزجال، التي شرع في كتابتها منذ أواسط التسعينيات، وقد ضمّتها مجموعاته الأربع أو الخمس، وامتازت بارتباطها الشديد بالذات والواقع المعيش، وبتوسُّلها بأدوات، لم يكن الراحلُ مقلِّدا فيها، في كل الأحوال، بل نلمس كثيرا من مظاهر التجديد والاختلاف فيها؛ على نحو ما سيتضح من خلال عناصر هذا المقال. وتكشف قراءة أزْجال ماحي أننا أمام أحد الأصوات الرائدة في الزجل المغربي المعاصر، الذي يحلو لبعضهم تحقيبه وتقسيمه إلى أجيال، يُصنَّف مُبْدِعُنا ضمن الجيل الثالث، الذي "يعيش القصيدة كجماليةٍ ومعاناةٍ؛ جيلٍ متفتّح على جميع التيارات، هَمُّه القصيدة الخالدة، المؤسِّسةُ لتيار جماليّ مَحْض"؛ على حد قول ماحي نفْسِه في حوارٍ، أجْراه معه شكيب عبد الحميد قبلَ سنوات.

ماحي.. زجّالٌ من الهامش

جميلٌ أن يقترن المبدع بوسطه وواقعه، فيعبّر عنهما تعبيرًا ينبض بالصدق، موضوعيا وفنيّا معًا، سواء بالسرد أو الشعر أو الدراما أو غيرها من وسائط التعبير وأشكاله. وهذا ما حصل، فعلا، في زجل عبد الكريم ماحي؛ ابن بلدة "بطّيوة" الدّكالية، الذي درج بين ربوعها، منذ مولده في العام 1972، قبل أن ينتقل مع أسرته إلى مدينة الجديدة؛ حيث درَس الطورين التعليميّيْن الابتدائي والإعدادي، ليلتحق - عقب ذلك - بمكناس؛ حيث سيخضع للتكوين في مجال السكك الحديدية، الذي أهّله للاشتغال - بعد تخرُّجه - في هذا الميدان نفسه، بالحي المحمدي (الدار

البيضاء)؛ حيث ظلّ يعمل إلى حين طَرْده منه في أوائل الألفية الجارية، ليبدأ فصلا آخَرَ من حياته، سِمَتُه الأساس الفقر والتشرد والتسكع، التي لازمتْه إلى أن وافَتْهُ المَنِيّة، مُؤخّرا، عن عُمْرِ الـ52 سنة.

وبذلك، جسّد الراحل أنموذجا فذّا للمبدع الذي انطلق من الهامش العميق، وعاد إليه، وإنْ لم يكن ناطقا باسم الهامش الدكالي وحده، بل ينسحب، في الحقيقة، على أي هامش آخر، يعاني شتى صنوف الحرمان والبؤس والإقصاء. ولهذا الأمر، تكرر، في جملةِ كتاباتٍ، قَرْنُ ماحي بالهامش؛ بحيث وُصف، مثلا، بـ"النورس الجريح، وزجال الهامش المَنْسي" (حفيظة الفارسي)، وقيل عن زَجَلِه المُبْكي إنه "نابع من الهامش، من الوُجْدان، من عُمْق دكالة؛ حيث كان يتسكع ماحي" (أسامة باجي).

وحتى للّذي عَرَف الراحل عن قرب أو بُعد، ولم يقرأ زجله أو يستمع إلى بعض نصوصه؛ للوقوف على تمظْهُرات الهامش فيه، فإنه كان يرى الهامش واضحًا على مُحَيّاه وجسده؛ فقد كان - كما وصفه صديقُه محمد غزلي، في سلسلته "متسكعون بمدينة الجديدة" - ذا "وجه متجعّد أحمر، قريب من البُنّي الأسود، وشعرٍ أكرد... كرجل زنجي، يحمل حقيبة جلد سوداء قديمة، ولا شيء يغطي نُدوب تخدُّش وجهه المكْسُو بلِحْيةٍ خفيفة مشذّبة، حتى اللحية لا تُخْفي خُطوط النّدوب". ويبدو لِرَائِيه كصُوفيّ من القرن الحادي والعشرين، ينحدر من "طينة المهمّشين والهامشِيّين الكبار"، و"كطائر خُرافيّ زاهد في الحب والماء، يَعَضُّ بالنواجذ على أن تظل ضحكته مُجَلْجِلة" (مجيد شكير)، و"يُشاغِب بهِمّة عَدَميّ في قمة عبثه، ويُشاكِس بشقاوة طفلٍ على سجيّته، ويَلْهجُ شعرًا متفرّدا بحكمة وليٍّ، لا يدّخرُ لإمتاع جُلاّسه أدنى قصيدة من بركاته، أو مقطعٍ من كراماته" (نور الدين ضرار).

ماحي.. بوهيميٌّ عاش بكِبْرياء

يوحي ما ذكرناه آنفًا بأنّنا أمام شاعر شعبيّ بوهيمي بامتياز، دفعته ظروف الحياة إلى مضايقَ ارْتضاها، لمّا لمس فيها قرْبها من ذاته الهشّة، ولكن الصلدة القوية في الآن نفسه. ويتقاسم ماحي هذا الوضع مع كثير من البوهيميّين، الذين اختطّوا لأنفسهم مسارات حياتية مغايرة، مُؤمنين بقيمة الحرية اللامتناهية، ومُواجِهين بؤس الواقع وقبحه بعبثية ولامبالاة، وراسمين عوالم أخرى في خيالاتهم الرحبة. قال الشاعر مصطفى ملح، بعد أن بلغه نبأ وفاة ماحي، إنه "ذهب وترك حزنا عميقا.. كان متْعَبا وبوهيميا وعميقا وذا خيال شعري خصب".

لقد اختار الراحل هذه الحياة، على الأقل منذ طَرْده من الشركة حيث كان يعمل، حتى وُصف بـ"بوهيميّ دكالة"؛ فعاشها بكل مرارتها، التي كانت تضغط عليه، أحيانا، على نحو أكبر؛ فترتفع نبرة تذمُّره وشكْواه، ليجد بعض التخفيف والمواساة من بعض زملائه الأكارم، وإنْ كان يتفادى - إلى أقصى حدّ - أن يضع نفسه في موقف ضعف، بكِبْريائه المعهود، وأَنَفَته المثيرة فعلا؛ فقد "عاش مقهورا وعابرا، بكبرياء غريب وعجيب، في عالمٍ لم يَحِنّ أبدا عليه" (عبد الإله الصالحي). وهو ما تؤكده شهادة أخرى في حقه، بعد رحيله، أدلى بها صديقه الباحثُ رشيد بلفقيه، قائلا إنه "عاش حياته كما كان يشاء.. بوهيميا، حُرّا منطلِقا، غَنِيّا عن الجميع بالاستغناء، صديقا للجميع رغم كل شيء. لم يمنحه الأدب والإبداع والزجل أشياء كثيرة، ولم يَسُق الدّنيا إليه كما يشتهي كلُّ مُعْسِر، ولكن "الما...حي"، بعناده الأسطوري وأسلوبه الأصيل، صنع، بطريقته الخاصة في الكتابة الزجلية وفي الحياة، أيقونة، لا تكاد المَحافل الثقافية بالجديدة وسيدي بَنُّور وأزَمُّور تكتمل دون وجوده...".

فقد كانت دائرة صداقات الراحل متسعة إلى حد بعيد، ولاسيما في أوقات السراء؛ بحيث كانت تجمعه برفاقه، في مقاهي الجديدة وشواطئها ومنتدياتها، لقاءات ماتعة؛ لتجاذُب أطراف الحديث، والخوض في شؤون الإبداع، وإنشاد ما تيسَّر من أزجاله المعتقة، التي تعبق برائحة الهامش والبؤس والتمرد والموت، ولكنه لم يكن يُحس بجدواها في أوقات أخرى كما هو المُتَمَنَّى! وقد أدرك ماحي أنه لا يمكن التعويل، في الواقع، على الإبداع (أو "الثقافة")، وبخاصة ما كان منه شفافا صادقا صريحا؛ لضمان حياة أهنأ وأسعد، ولَوْ في حدود دُنيا. ولذا، صرّح نفسُه لجريدة "العُمق" بأنّ "الفن الصادق مَكَيْوَكَّلْشْ الخُبْزْ" !ولعلّ ممّا كان يُضَيّق الدائرة المشار إليها، أحيانا، ما عُرف به طَبْع الراحل من انفعال وتقلُّب في بعض المواقف، وهو ما ذكره، في حوارٍ معه، بالقول: "أنا مِزاجي، وأطلب الاعتذار لكل مَنْ أسأتُ إليهم؛ فأنا هْبيلْ، والهْبيلْ ما يَتْلامْ". وعلى الرغم من ذلك كله، فقد كان ماحي "الرجل الذي عاش مُعْدما من حظوة الخَلق، إلاّ ما كان من نخوة وكبرياء. وعاش في الأرض حُرّا من اشتراطات الدنيا، إلاّ ما كان منها رحمةً من السماء، وكلُّ تركته حفنةُ أزجال مَشُوبة بلعنة الصعاليك، وبصيرة الحكماء" (نور الدين ضرار).

ماحي.. ما في الجُبّة إلا الهمّ!

لقد آمَنَ ماحي بأن الإبداع ابن المعاناة، أو هكذا يجب أن يكون؛ لذا جاء زجله ملتزما، وذا ميسم واقعي طافح، يعرّي الحياة المعيشة، بما فيها من بؤس وفقر وتفاوت وقهر وفساد وغيرها من المظاهر الباعثة على المقاساة والأحزان، ويعبر عن آلام الناس وتطلعاتهم، ويحمل نبرة رفض وتمرد

تصريحا أو تلميحا. ولهذا، فإن قارئ أزجاله يَصْدِمه الحضور الطاغي للهمّ والأسى، ويثيره استعمال معجم الحزن والحرمان والموت في قصائده على نحو لافت.

ويمكن أن نكتفي بالتمثيل لذلك، ها هنا، برائعته "هَمّْ.. هَمّْ... وبْحالْ بْحالْ"، كما تكفي نظرة إلى عناوين مجموعاته الزجلية للخروج بالانطباع نفسه، ما عدا عنوان ديوانه الذي أنْهاه في أواخر 2023، ولكنْ لم يتيسر نشْرُه إلى اليوم، والذي تظهر على مستوى تركيبته الصياغيّة كلمة "الحب"، وهو "ليعة لَبْغُو"، ولكن ذلك لم يكن حائلا دون التطرق إلى الهموم والأوجاع والتناقضات. وقد عبّرت بعضُ الكتابات عن ذلك المَيْسَم بالقول: "عبد الكريم ماحي لم يكن مجرد زجّال عادي، بل كان صوتا يَنبض بالحياة، ويُعبّر عن آمال وآلام الناس البسطاء بلُغتهم الخاصة. وكان يجسّد في قصائده روحَ الشارع المغربيّ، بكل ما فيها من بساطة وعُمق. وخلال مسيرته الفنية الطويلة، أبدع ماحي في رسْمِ لوحات شعرية، تمزجُ بين الحنين والحبّ والسخرية والألم، مُحَوّلاً قصائدَه إلى مرايا تعكس واقع المجتمع، وتوثق لحظاتٍ من حياته اليومية". بل إن المبدع نفسَه كشف عن صلة زجله بالهمّ، وذلك في جواب عن سؤال - ضمن حوار - عن "طقوس الكتابة" عنده؛ فقال: "حينما أحسّ برُكام من الهموم، يجْثم على صدري، أُسيلُ مدادي على الورقة، أبُثُّها اضطراب خواطري. أكتبُ في كل الأوقات؛ في الليل، قبل الفجر، في الصباح. أكتب في أي مكان؛ في المقهى، في الحانة، في القطار، في الحافلة...".

ولئنْ ركّز، هنا، على الهمّ الذاتي، فإنه لا ينفي اهتمامه الكبير، إبداعيا، بالتعبير عن الهم الجماعي كذلك، بل إن هذا الأخير يظل الباعث الأساس على الهم الأول؛ فلا يمكن لذات مرهفة تعيش وسط جماعتها، وهي تكتوي بلظى ألوانٍ من الحرمان والبؤس والتهميش والظلم، إلا أن تقاسمها ذاك الإحساس؛ فيأتي ما تبدعه، بصدقٍ، عاكسا لهمّها الضاغط تماما. قال ماحي:

مَلّي الدَّمْعَاتْ بَلْغُو

لْهَادْ لَقْيَاسْ

نَحْدَرْ الرّاسْ...

وكأنّا بالزجال يعلن استسلامه، وعدمَ قدرته على مزيد من الصمود في وجه أمواج الهمّ العاتية. ولعل من أكثر النصوص تعبيرا عمّا نحن بصدده الآن قوله:

كانَتْ تْسَالْنِي لَحْرُوفْ:

إمْتَى تَرْتَاحْ يَا لْمَاحِي؟

وكَنْتْ نَكْتَمْهَا فَ الجُّوفْ

وَنَهْرَبْ مَنِّي ساعَة صْيَاحِي

حَالْتِي خَلاّتْ لَعْمَى يْشُوفْ

لَكِنْ اللّيلْ سْرَقْ نُورْ صْبَاحِي

[.....]

أَنا اللِّي مَا قَهْرَتْنِي الظّرُوفْ

أَنَا! عَبْدْ لَكْرِيمْ مَاحِي.

وتميز تعبيره بكثيرٍ من الصراحة، التي قد تجرّ على المبدع نقْدًا ولَمْزًا، ولاسيما في زمن النفاق والمنافقين؛ لأن قول الحقيقة يظل مُرّا، لا يتقبله الكثيرون، ويتحمل من يتبنى ذلك النهج فاتورته في أحايين كثيرة. تقول إلهام البهوي: "بّا الماحي يتميز بعفويته، وسَعة صدره، وصراحته، ولسانه الذي ينطق -فقط- بالحقيقة. دائمًا يفضّل الانسحاب من التجمُّعات الثقافية؛ لأنْ لا أحد يُحِبّ طبْعه إلّا القليلون"، ومن ملامح طبعه هذا صراحته وشفافيته وصدقه.

ولا نستغربُ أن تكون لهذا الأمر صلةٌ بعِشْقه الأغنيةَ الغيوانية، التي عبّرت عن مثل ذلك الهمّ، منذ انطلاقتها في السبعينيات من وسط كادح (رائعة "مهمومة" أنموذجًا)، علما بأن لماحي تجربةً في الغناء الشعبي، على النمط الغيواني، وكان يحلو له الإنشاد على هذا الإيقاع المميَّز. كما كان للثنائي باطما أثرٌ في مسار ماحي الإبداعي تحفيزا وتشجيعا؛ كما أقرّ بذلك الراحل في أكثر من مناسبة.

ماحي والهَوَس بالكلمة...

لم يكن الراحل يَمْلك شيئا، سوى الكلمة الأبيّةِ الصادقة؛ فهي كل رأسماله، وهي التي خلّف بعد رحيله، وستظل الأجيال تذكره، ضمن كُتاب الزجل، بها وحدها. وقد جمعته بالكلمة/ القصيدة علاقة غريبة حقا؛ إذ كانت ملجأه لمّا تَضِيق عليه الدنيا بما رَحُبَت، يَبُثّها حزنه وحسْرَتَه وشكواه؛ فيطّلع بها على الناس كلاما محبوكا، مليئا بالمشاعر والآهات والأماني، بعد أن يتناولها بما يكفي من الاهتمام، وليس كما يفعل أكثر كتّاب اليوم، من الشُّبّان خاصةً، الذين تَجِدُهم يسارعون إلى نشر أي شيء يكتبونه؛ مما أوصلنا إلى ما بات معلوما من أمْرِ ساحتنا الإبداعية! إذ "كان مهووسا بالكلمة، يعتني بها، ويرعاها على نحو رفيع، وبحِسٍّ إنسانيّ دافق" (مراد بلمودّن).

وقد سُئل ماحي عن القصيدة، وعمّا تُمَثّل له؛ فأجاب بأنها "عروسة، بحر، رؤية، سماء، ظلّ الروح في الأرض. القصيدة مُصيبة. القصيدة ذنبٌ، ما أحلى اقترافه!... القصيدة حجاب"؛ فهي، إذاً، كل شيء بالنسبة إليه، وهي قدَرُ المبدع، تداهمه؛ فلا يستطيع منها فكاكا ولا فرارا، ويجترحها بكل لذة وعشق، ويتخذها وسيلته إلى التنفيس والتعبير والحلم، في ظل وضع معيش، قوامُه الحرمان والشقاء. قال ماحي في مجموعته الزجلية الثانية:

ابْكِي يَا عِينِي شَلّالْ

هَكْدَا خْلَقْنِي اللهْ زَجّالْ.

كما عَدَّها مسكنه وعنوانه، ومقصده إذا ضاعت بوصلته في خضمّ الحياة. قال في حوارٍ معه: "[أنا] متسكّع، ولا أريد أن يلومني أحد. فخورٌ بهذا الوطن. لا أملكُ مفتاحا، لأنني أسْكُن القصيدة؛ فإنْ كان هناك عنوانٌ، فهو القصيدة". وقال في إحدى زَجَلِيّاته:

غِيرْ هَمْلُونِي راهْ رَبّي دَارْهَا گنْطْرَة

الْوَادْ إِلَى هَاجْ گاعْ فْ لَبْحَرْ مصَبّاتُو

الْكَتْبَة إِلَى هَاجَتْ گاعْ لْحَرْفْ لْگا فِيَّ ذاتُو.

وقال، في قصيدته "الزمان الهاتر"، عن تجربة الكتابة الزجلية، وسياق خوض غمارها، وعلاقتها الملتبسة بالواقع:

هِيَ الْكْتَابَة كانَتْ غَ تَجْرِبَة فْ هَادْ الدَّنْيَا

لَلّي مثلها بْسَبْعْ عْقُولْ وقَلْبْ واحَدْ

تْرادَفْ عْلِيهْ التَّخْمامْ

فْ ساعْتُو انْتاحَرْ الْحُلْمْ

فْ ساعْتُو حْيَا الْألَمْ

وجَابَتْ الدَّنْيا شْهُودْها

جُوجْ مَنْ نْسَا تَقْليدْ مْعاوَدْ

ورَاجَلْ مَعْگازْ يْنَشْ الَحْكايَة

يْجَرَّبْ الدَّنْيا فَ الْكتَابَة

وَالكْتَابَة تْجَرْبُو فَ الدَّنْيا!

ولعل أجْمَلَ تعبير وأبْلَغَه عن علاقة التماهي بين ماحي والقصيدة قول الكاتب شكيب عبد الحميد عن صديقه هذا: "زجّال اختار القصيدة، بل عانقها وتماهى معها، حتى التصق بها، واحتضنها؛ فأمْسَتْ حبيبةً ورفيقةً وقنّينة مُعَتّقة.. عانقها، وحلّ فيها؛ فصارا رُوحيْن، حلّا بدَنًا؛ فغدا الماحي قصيدة، وغدَتِ القصيدة الماحي. واختلط على المتلقين هذا الاسم، حتى كاد أنْ يلتصق الزجلُ بالماحي في مدينة الجديدة. ضحّى بكل شيء في سبيلها. عاش لها نهاره وليله. سيزيف بطّيوة يحمل القصيدة على كتفيْه، ويصعد الجبل...". وممّا يُذْكَر، في هذا الصدد، أنّ الراحل كان يوَدُّ لو تُدْرَج القصيدة الزجلية ضمن المقررات الدراسية ببلدنا.

ماحي والجنون...

يبدو أن من أقوى الألفاظ حضورا في زجل ماجي الجنون، وإنْ بصيغ مختلفة، وهو الذي كان يردّد أنه "هْبِيلْ"، كلما اجترح أو أتى أمْرًا يُعاب عليه... وأحيانا بدون سبب حتّى، ومن ذلك قولُه في نصّه "تَلْتْ الهَرْبَة"، الذي كتبه في أوائل هذه الألفية:

الدَّنْيَا كَاسْ مَگعُورْ

وَنَا لَهْبِيلْ

طَالَبْ شَرْبَة!

وقولُه في شذرةٍ معبّرة، قريبةٍ جدا من هذا المقطع، في لفظها ومعناها معًا:

الدَّنْيَا گرْبَة مَتْقُوبَة

وَنَا لَهْبِيلْ

طَالَبْ جَغْمَة!

ولَطالَما ارتبط الإبداعُ بالجنون في الميثولوجيا، منذ القدم؛ ففُسّر بأنّ في صاحبه مَسّاً من الجنون، أو بأنّ له قرينًا يُلْهِمه ما يُبْدِعه. وبهذا يغدو المبدع شخصا غير عادي، مختلفا عن باقي أفراد مجتمعه. وبقدر جنونه، يكون بُعْدُه عنهم.

بل إن هذا الجنون لَيَظْهَر لنا من عنوان أول دواوين ماحي الزجلية "لَحْمَاق تْسَطَّى"، وهو جُنون مُفْرط للغاية، يبعث على الاستغراب؛ إذ كيف يمكن لحُمْق أن "يتسَطّى"، والأحمق يعيش أصْلًا ذلك الوضع؟! وقد سُئل ماحي عن هذه المفارقة، التي يوحي بها عنوانُه المذكور؛ فأجاب: "أنا

هْبيلْ، والجنونُ إذا بلغ مداه فإنه يجنُّ.. بين العائلة والأصدقاء، يَنْعتونَنِي بـ"الهْبِيلْ"، بـ"الحْمَق". فهذا الحْمَاق/ الهْبال/ الجنون تسطّى، بلغ ذُروته؛ فأضحى ديوانا إبداعيّا، يمشي على قدمين.. انفلت المجنون من عِقاله، وتمخَّضَ الهْبال؛ فولد إبداعا/ ديوانا زَجَليّا.. هذا هو المقصود بالعنوان".

وإذا كانت عتبته الأولى توحي بكل هذا الزَّخَم من الجنون، فإنّ قصائد الديوان تطفح به أيضًا، حتى إنه لَيَغْدو مُحرِّكا أساسيّا قابِعًا وراء إبداعها؛ ففي ديوان "لحماق تسطى"، نُلْفي "الكتابة الزجلية تشُنّ حربا على البداهة والبلاهة، وتفتح مسارب انفلاتها؛ بدءًا من نقد الاستبداد والعنف والقهر، مُحَصَّنة بموقفٍ لا يُهادِن مع أمراض الحداثة وأعطابها، مُرورًا بتجربة العشق واحتدامها الخانق، وُصولا إلى تفتيت الأصنام، وهتْك الحُجُب، والاحتماء بحُمْق الجُنون مِنْ مغبّة الاستسلام لأوهام السوق"؛ على حدّ تعبير الباحث حمادي تقوا، في مقاله عن ماحي بمجلة "الحوار المتمدّن" الإلكترونية.

ماحي.. ساخِرٌيُواجِه قُبْح العالَم

عُرف ماحي، كذلك، بسخريته وقفشاته وروحه المرحة، التي كانت ترغّب في مجالسته مدةً أطول، دون الإحساس بالكلل والملل، ولربّما نفّرت منه آخرين، لو أحَسُّوا بأنهم مقصودون ببعض هُزْئه وتعريضه. وقد امتدت تلك السخرية إلى إبداعه الزجلي، متخذا إياها وسيلة لمواجهة بؤس الواقع وقبحه ونفاقه، بعد أن بدا له تحركه عكسيا، في كل شيء؛ لذا تمنى أن يتوقف، بدل أن يتحرك، قائلا: "ليتنا نقف، ولا نتحرك... ما ثمة تطور.. ثمة تقهقر.. نحن نتقهقر!" (نقلًا عن غزلي).

ولعل ممّا خَلَق لديه هذا الطبع شَغَفَه بالمسرح منذ أواسط التسعينيات؛ بحيث كان نشيطا فيه، وخاض تجربة التمثيل المسرحي، وظل على اتصالٍ بواقع الحركة الدرامية الوطنية، وتمّت مَسْرَحة بعض زَجَلياته.

كما توجّه، في وقت ما، إلى الكتابة الساخرة، متأثرا ببعض رموزها ومتونها، بعد أن تيقّن من قوة الكلمة الإبداعية الهازئة في التعبير والتأثير والتغيير؛ إذ قال: "إني منكبٌّ على كتابة نصوص ساخرة، لا علاقة لها بالزجل. فماحي شخصية ساخرة كما يعلم الجميع، وهذا الجانبُ أريد أنْ أوظّفَه في التأليف المسرحي الساخر، ولي عمل فرديّ بعنوان "الحگرة لّا"".

فالسخرية صيغة تعبيرية ارتضاها ماحي، إذًا، في أزجاله ومسرحياته، مثلما جسّدتها سلوكاته في الحياة مع أصدقائه وجُلسائه. ولا ريب في أنه لَمَسَ فيها نجاعة، في ظل ما كان يعيشه من وضع

مُزْرٍ معلوم، تزداد ضغوطه ومراراته بتوالي الزمن؛ فبها أمْكَنَه تجنب تبعات قاسية على الذات، عقليا ونفسيا، وإدراك مدى تهافت الحياة وعبثيّتها. وعليه، فإنه لم يكن يرى ما يناسبها سوى مواجهتها باللامبالاة والزهد والاستهزاء والسخرية اللاذعة، على طريقة كتّاب اللامعقول.

ولعل كلَّ مَنْ دَرَس زجل ماحي، أو استمع إلى نصوصه، يلمس فيها تلك السمة، بما لها من دلالات وأبعاد طبعا؛ كما فعل الناقد حمادي تقوا، الذي أكّد أن الرجل يكتب "بروح نيتشويّة ساخرة، وبقلق سيزيفيّ يُفكّك وقار العقل، ويستضيفه في تجربة الشطح رقْصًا بالمعنى الحَرْفي الدّارج.. حرّية صوفية بالمعنى العِرْفاني".

زجل ماحي.. السؤال والرؤيا

يوظف ماحي السؤال، بما ينطوي عليه من حمولة دلالية، على نحوٍ يَلْفت الانتباه، بوصفه أسلوبًا بليغًا لا يروم الاستخبار، بقدْر ما يعكس حالة الذات، وما تعانيه من ضياع وتشرد وتهميش واضطراب، دون الابتعاد عن واقعها المليء بمظاهر البؤس والتناقض والحيف؛ فالسؤال، إذاً، ينخرط في صيرورة تحقيق مقاصد القصيدة الزجلية لدى ماحي. ومن أمثلته هذا المقطع المعبّر:

ما عْرَفْتْ رَاسِي وَاشْ أنَا اللّي كْبَرْتْ

وَلّا هَادْ الدَّنْيَا اللّي صْغَارْتْ فْ عِينِيَّا.

ولا خلاف في أن مجموعته الثانية "تحتحيت السؤال" أكثرُ احتفاءً بذلك السؤال وقلقه؛ كما يعكسه، للوهلة الأولى، عنوانُها الدالّ، وكما تجسّده نصوصُها الزجلية، التي وصفها أحدُ دارِسِيها بأنها "قصايْد لها رُعْب ماء السؤال. يحاصرك الماء باستعاراته من كل جهة. يغمرك الطوفان. احذر؛ فالماءُ توأم المحو، والمحوُ لا يُبْقي إلا الطّرْس... قصايْد لها قلق الذات والوجود والعشق.. ذات تؤرّخ لميلادها منذ الطوفان، قديمة قِدَم الفاجعة.. ذات تقبل الجرح؛ فتنزح من كتابة سِفر تكوينها إلى الانخراط في سِفر أيّوب... قصايْد لها اللوْعة، وتمجيد الألم، والتبشير بالثورة بديلا. لها السّخْط والعَرْبَدة في وجه المُهادَنة الصفراء. لها النهوض ضدّاً على مَنْ ساوَم في الحلم الأحمر" (حمادي تقوا).

ومن هنا، يَتأكَّد ما قيل سابقا بخصوص الثيمات الغالبة في أزجال ماحي، سواء ما يتعلق منها بذات المبدع أو يتعلق بواقعها المعيش، وهو أمرٌ غير مستغْرَب إطلاقا، إذا استحضرنا تفاصيل حياة الراحل، التي كانت أشبه بسلسلة طويلة، مكونة من حلقات الألم والأسى والحرمان والاغتراب واليأس والتصعلُك والتذمُّر والتمرُّد.. حلقات لا يمكن أن تُنتج سوى إبداع من الطينة التي أشار

الناقد إلى ملامحها. ويُثيرنا في القول، أيضا، مدى حضور عنصر الماء في زجل الرجل، هنا وفي باقي أعماله؛ مثل مجموعته المنشورة الأخيرة، الموسومة بـ"دموع الما(ء)".

وقد توخَّى ماحي، من توظيفه السؤال توظيفا لافتًا في أضمومته الثانية، أن يجدد في الكتابة الزجلية، ويفتحَها على آفاق أخرى، مستغِلّا زخَمَه الدلالي والجمالي. يقول تقوا عن حجم وُرُود السؤال في تلك المجموعة، وأبعاده، إنه "يتكرر في ما يربو عن الخمسين بنية استفهامية. لعله البحث عن إمكانٍ جديد للقصيدة الزجلية رغبةً في الخروج بها إلى أفقٍ فكري فارِق؛ أفقٍ يستثمرُ الطاقة المَجازية للّغة، مُضَمَّخة بتُراب دكالة؛ رديف الخصب...". وفي تلك البنية نفسِها "تنشبكُ كتابة السؤال مع سؤال الكتابة"؛ على حد تعبير الكاتبِ نفسِه.

ويرتبط السؤال لدى ماحي بالرؤيا، التي تؤطّر مجمل إبداعه الزَّجَلي، وهي رؤيا بقَدْر ما تُقوّي صلته بالواقع، فإنها تحلم بإمكان أجمل، وبغدٍ أسعد، ينعم فيه الناس بشروط حياة أرقى وأفضل، ولو في حدودٍ مَا بطبيعة الحال.. رؤيا لا تتعامل مع الموضوع، وأشياء الوجود، ذلك التعامل السطحيَّ المباشر، بل تُراهن على الحفر في أديم النص؛ لتتغلغل إلى أعماقه الغائرة، في سعيها إلى الوقوف على جوهر الأشياء ولُبّها، وإلى الإمساك بخيوط المعنى العميق المنفلت، الثاوي خلف ظاهر الكلمات. ومن هنا، نردّد - مع ذ. تقوا - أنّ "التجربة الماحية تتخلى عن انشغال جلّ الكَتَبَة المزيّفين بترسيخ الاسم زخرفةً وتنميقاً؛ تجربة تفضّل مَحْو الاسم من مُنْطَلَقٍ حَلّاجِيٍّ أصيل، طامحةً في ألاّ تكون أكثر من انفلات مجازي في جسد القصيدة الحالِمة بالمعنى، في فضاءٍ يدعس، برفقٍ مُنافقٍ، وردةَ الجنون، ليمنعَ عن الكاتب الحقّ جلاءَ دُرّه المَكْنون". وأظنّ أن هذا الكلام، وإنْ كان مقُولا في زجل أضمومة ماحي الثانية، على وجه التحديد، إلاّ أننا بمُكْنَتنا سَحْبه على كافة أزجاله، التي تتقاسم ذلك الحلم والطموح. وقد أجاد حمّادي تقوا، في الربط بين بنية السؤال والبعد الرُّؤْيَوي لدى ماحي، حين انتهى إلى أن "السؤال بابُ القصيدة الزجلية لتُعانق إمكانها الرؤياوي" في إبداعه.

ماحي والموت...

يعدّ الموت من الألفاظ كثيرةِ الدَّوَرانِ في زجل ماحي، إلى جَنْبِ الماء والهمّ وغيرهما، وذلك بالنظر إلى ما يكتنزه من دلالات، وما يتصل به من أبعاد في هذا الإبداع؛ فهو ضديدُ الحياة، وقرين الفناء والمحو، وسبيل الخلاص أحيانا. ولذا، يردده كثير من المبدعين، ويطْرُقون حومته، بل قد يَرْجون حلوله، حين تظْلم الدنيا في وجوههم، وتنسدّ أمامهم الأبواب، وتجثم على صدروهم جبالٌ من الهم والغم. وعلى هذا الأساس، وجدنا شعراءنا المعاصرين يُكْثرون من استثمار ثنائية الموت/

الحياة في إبداعاتهم، موظِّفين الرموز والنماذج الأسطورية التي تَخْدمها، ومتأثرين بعددٍ من أعلام القصيدة الحديثة في الغرب على الخصوص.

ومِنْ فَرْط ما عانى ماحي من ضروب البؤس والفقر والتنكر والتشرد في حاضرة دكالة، دون أن تجد شكاواه آذانا صاغية، إلاّ ما كان من دعم بعض أصدقائه وكرمهم، زاد استياؤه ويأسه في الحياة، ونفوره منها، وهي التي لم يَجْنِ منها سوى الهموم تلو الهموم. وتفاقم الأمر بمرضه القاسي في أواخر حياته... ولذا، كثرت نبرة الموت في زجله، وكأنّا به كان يستعجل الرحيل؛ بحيث لم تكن تمضي مناسبة دون أن يُنْشِد جلاّسه أو سامعيه شيئا من زجله الحامل لمعنى الموت، أو الذي تُشْتَمّ منه رائحته؛ كما في هذا المقطع:

حَالْتِي خَلاّتْ لَعْمَى يْشُوفْ

لَكِنْ اللّيلْ سْرَقْ نُورْ صْبَاحِي

حَتّى جِيتَكْ يا لْمُوتْ مَلْهُوفْ

وظَنّيتَكْ يا ذاتِي فِيهْ تَرْتاحِي

وخَلّيتْ لِيكُمْ كُبَّة صُوفِي

وَخْذِيتْ مْعايَا جْرَاحِي.

فهو، تحت ضغط الواقع الذي عاشه شريدا بئيسا، وأمام انسداد أفقه، يقبل بلهفٍ على الموت، معتقدا أن ذلك سبب في راحته من معاناته وتعبه السيزيفي، وبحوزته ما تراكم عليه من كُلوم وآلام وأحزان على امتداد زمن طويل.

وقد تكرَّر، في زجل ماحي، معنى استعجاله الرحيل؛ ليَحْجِز له مكانا بين الراحلين قَبْلَه، في تعبير عميقٍ، ذي دلالة قوية على ما آل إليه حاله مع الفقر والمرض والتنكر والتهميش، وذلك كما قال في قصيدته "لا تَمْشِيشْ":

نْدَمَّلْ دَمّي فَ الزْنَاقِي مَلْفُوفْ

هَادَا عْلَاشْ خَصّْنِي نَمْشِي

قْبَلْ ما تَغْرَبْ الشَّمْسْ

مَا يَلْقَاوْشْ فِينْ يْدَفْنُوني!

وحتى إذا امتلأ المكان بالموتى، فإنه يلتمس أن يَجِدُوا له شِبْرا/ مَوْضِعا وَسَطَهم؛ فيقول في مقطع طافحٍ بعُمقٍ دلاليّ:

مَنْ هْنَا لْدِيكْ الرُّوضَة

وإذَا تْزَاحْمَتْ الَقْبُورْ

زِيدُونِي خَدّامْ

هَا قَلْبِي شْبَرْ

هَا صَبْرِي أعْوَامْ

لَبْسِينِي، يا بْلاَدِي، سَلْهَامْ

يَمْكَنْ نْدَفِّيكْ

كُونْ مَا عَرَّوْنِي أوْلَادْ الَحْرَامْ.

بل إنه عبّر، بحُرقة وتألُّم، عمّا يلقاه من عراقيل، حتى إذا وَدَّ الذهاب إلى منتهى مسعاه ذاك؛ فالمكان، وإنْ كان قريبا منه، ولكن الولوج إليه دونه عقبات! قال ماحي في مجموعته الأولى:

بابْ الرُّوضَة شْحَالْ خَصَّكْ لِيهْ

هَا دَهْنَةْ الْعَسّاسْ إلَى خَلاّكْ تَدْخَلْ

[.....]

والَكْفَنْ مَنْ خْيُوطْ السِّيَاسَة مَلْجُوجْ.

فهذه النماذج الزجلية تكشف عن مدى حضور البُعد الجَنائِزي في إبداع ماحي، الذي جسّدته ألفاظ؛ من قبيل الموت والروضة، ولاسيما بعد أن قهره الواقع، وتراكمت عليه هُمومه على اختلافها؛ فألفى نفسه ضعيفا كسيرا عليلا، يواجه عالمه القاسي بكل كبرياء وعناد، قبل أن يستسلم لسطوته، مستشْعِرا دُنُو أجله بكل مرارة ووَجَل وترقّب. وبما أنه ظل يواجه، تقريبا، ذلك الواقع بزجله وَحيدًا، وهو الضعيفُ من كافة النواحي، دون أن يلقى الدعم الحقيقي، فقد أوصى بأنْ يُدفن، في عمق الروضة، بعيدا عن متناوَل الناس؛ لأن الاهتمام بالمبدع، والإحساس بظروفه، يجب أن يكونا، أولا، في حياته، لا انتظار وفاته للقيام بمبادرات من أجله؛ لأنها قد لا تفيده حينذاك في شيء! فقد قال في آخر حوارٍ، أجْراه معه الكاتبُ شكيب عبد الحميد: "إلَى جَابْ اللهْ أُو

مَتْ(!!)، دَفْنُونِي لْهِيهْ، وبَعْدُونِي عَنْ الطْرِيقْ، مَاشِي عَ اللِّي جَا يْزُورْنِي، رَاهْ حوشي كْلَامْ اللِّي كانْ لِي فَ الدَّنْيَا رْفِيقْ".

القصيدة الماحِيّة: المضمون والشكل

أبادر، هنا، بتوضيح المقصود بهذا المركَّب الوصفي، حتى لا ينصرف الذهن إلى أمور أبْعَد عن المراد؛ فلفظُ الوصف، في هذه الضميمة، منسوب إلى المبدع "ماحي"، وقد أضفنا إلى أوله ألِفًا ولامًا حتى يتحقق تطابُقُه الصرفيّ مع لفظ المنعوت، وحتى لا يسبِّب تَرْك تلك السابقة التباس الصفة بالخبر، وضياعَ المعنى المقصود. إننا نريد بـ"القصيدة الماحية" مجموع ما كتبه الراحل من شعر شعبي (زجل)، وإنْ ورد المصطلح بصيغة الإفراد، وهو الذي نقرأه في أضموماته الأربع، التي لم يستفد في نشرها من الدعم الحكومي، وهي: "لحماق تسطّى" (2005)، و"تحتحيت السؤال" (2015)، و"شْكون جرح الدم" (2019)، و"دموع الما(ء)" (2023). ويمكن أن نضيف إليها نصوصه المبثوثة في مجموعته التي تركها مرقونة، لم يُسْعِفه القدر في أن يراها منشورة هي الأخرى، وهي بعنوان "ليعة لبغو"؛ كما ذكرنا من ذي قبْلُ. علاوةً على بعض قصائده الزجلية التي يمكن الاستماع إليها بصوته في اليوتيوب، وأخرى كان يشارك بها في ملتقيات وأنشطة ثقافية داخل الجديدة وخارجها.

ولا شك في أن لهذه القصيدة ملامحَ تتصف بها على المستويين المضموني والفني. فهي ألصقُ بالواقع وصفا وتعريةً وانتقادا، وبالذات المبدعة كذلك. لذا، يوصف زجل ماحي بالتزامه الكبير، وواقعيته الطافحة، وصدْقه الذي لم يلوِّثه نفاق ولا مواربة. لقد عبر الراحل عن واقعه المعيش، بما فيه من حرمان وتفاوت وفساد وغير ذلك، ونقل تفاصيل من حياة الناس الهامشيّين المحيطين به، بما فيها من آلام وآمال، وكشف إبداعيا عن معاناته وأحاسيسه وأحلامه ونحوها، متوسلا في ذلك كله بأسلوبٍ، قوامه البساطة والعمق معا.

كان ماحي يؤمن برساليّة الإبداع، مُخالِفا أطروحة "الفن للفن"، التي رَوّجها المذهب البرناسيّ في الغرب خلال زمن مضى؛ لذا، جاء زجله هادفا، متوخِّيا التعبير عن الذات والواقع، وإماطة اللثام عن وجهَيْهما ليُرَيَا على حقيقَتَيْهما، دون مساحيق تُخفي ما يوحيان به من معاناة وقبح. وشأنُ هذا الضرب الإبداعي أن يصل إلى المتلقي المستهْدَف به، بكل سلاسة، ودون وساطات. ومن هنا، يلزم أن يُكتب بلغة بسيطة واضحة، بعيدا عن التمَحُّل وملئه برموز وأساطير وألفاظ غريبة. وفي هذا السياق، وجدنا الراحل شديد الحرص على أن يُبدع بلغة الناس المتداوَلَة، مُتحاشِيًا استعمال اللفظ الحُوشِي، غيرِ المفهوم بالنسبة إليهم، الذي قد لا يساعد على التواصل المُفْتَرض بين المبدع

والملتقي؛ بحيث قال في إحدى الجلسات، التي جمعَتْه بصديقه محمد غزلي في الدار البيضاء: "بعض الزجّالين لا يُبالون بالمتداوَل! أنا ضدّ استعمال مفردات غريبة... المتلقي يقرأ النصّ.. النص جميلٌ بصُوَره وبلاغته وأفكاره، لكنّه يتعثرُ - في النهاية - أمام مُفْرَدة غريبة قديمة مهجورة، ما عادتْ متداوَلَة.. مفْرَدَة وحيدة كفيلةٌ بتدمير النص كلِّه، عندما لا تُفْهَم!".

ولا يعني وضوح اللفظ وبساطته، هنا، ابتذاله وخروجه من دائرة الشعرية، بل إنه كان بسيطا وعميقا في الآن نفسه؛ فهو من "السهل المُمْتنِع" تماما، قد تراه في منتهى السهولة والوضوح، ولكنك تلمس صعوبته، بالفعل، فيما لو حاولت الإتيان بمثله، أو النسج على منواله. وهو في ذلك يشبه أشعار كثير من مبدعينا المعاصرين، الذين اختاروا التعبير بلغة الوضوح (صلاح عبد الصبور مثلا)، سواء في الشعر الفصيح أو في نظيره العامّي، ولكنه وضوحٌ يُخفي وراءه عُمْقا كبيرا.

ولم يكن ماحي يستعجل إخراج إبداعاته للناس، مثلما يفعل كثيرون اليوم؛ فتأتي مهلهلة ركيكة في كثير من الحالات، بل كان يتركها لـ"تنضج على نار هادئة"؛ كما يقال، مُعِيدا فيها النظرَ تلْوَ النظرِ، حتى تستويَ القصيدةُ نصّا ناضجًا رفيعًا. وكان يعلّم غيره، مِمّنْ يَقصِدُه، أن يُبدعوا على هذا النحو في الزّجَل؛ لأنّ التسرُّع يَجْني على الإبداع. فقد "كانوا يأتون من جميع المدن المغربية... إلى مدينة الجديدة؛ من أجل زيارته، وشُرْب كوب القهوة معه، ويستشيرونه كي يصحّح لهم أخطاءَهم، ويساعدهم على انتقاء أفضل شيءٍ في كتاباتهم وإبداعاتهم" (إلهام البهوي).

ومن مظاهر هذا الاهتمام حرصُه على تجويد أزجاله تركيبيا وبلاغيا وإيقاعيا، وهو ما يؤكده رشيد بلفقيه بقوله، عن صديقه ماحي، إنّه "ذلك المُشاغِب المُختلِف، لكن الإنساني والصادق، الذي لا يُضاهيه أحدٌ في إلقاء القصيدة الزجلية، ولا يُشْبِهه أحدٌ في سَبْك الصورة الشعرية، والتّركيبات الدّارِجة، التي تُطرب وتُؤلم وتُشْبع المتلقي". فالناقدُ يقرّ، هنا، بتفرّد الراحل في زجله صوغا وإلقاء، وتفوقه في ذلك على نحو بيّن، وهو ما كان يضْمَنَ له التأثير والإمتاع معا.

ولعل من جوانب هذه الفرادة لدى ماحي، الذي كان كثيرٌ من زجله "يغرّد خارج السرب"؛ سرب الزجل المغربي المعاصر، كيفية تعامله مع إيقاع النص الزجلي بكثير من المرونة، في سعيٍ إلى الخروج من إساره المُقيِّد، دون التفريط فيه طبعا؛ وإجادته بناء صوره الفنية، ونسج خيوطها، مُراهِنا على بُعْدها التعبيري في المحل الأول؛ كما في قوله، مثلًا، في مجموعته الزجلية الثانية:

التّاريخْ مَسُّوسْ

حْلَاوَةْ الشُّهَدا(ء)

مْدَفَّقَة عْلى تْرَابْ مَسْمُومْ

لَا أَهْلًا وَلَا سَهْلًا

وَلَا انْتِي نَحْلَة

وَلَا أنَا نَاظَمْ

مَنْ غِيرْ قَطْرَةْ دَمْ.

ولئِن امتاز الواقع المعبَّرُ عنه بفيضٍ من البؤس والسوداوية، الذي قد تلائمه -رُبّما- لغة من جِنْسِه وسِنْخِه، إلا أن المبدع استطاع، بحنكته وبراعته، أن يتكلم عنه بلغة مغايرة تماما؛ لغة جميلة باذخة، مستهْدِفا كشفَ تلك الملامح، وفضْحَ بشاعتها وقبحها. قال عبد الجليل العميري مقدِّما الراحل لقراءة قصيدته "الزمان الهاتر" (2015)، التي هي من هذا الصنف الزجلي تمامًا، في أحد الملتقيات: "يَغْزل ماحي من هَتْر الزمان صُورا رائعة... وهذا ما يسمى بـ"شِعْرِيّة القُبْح" في الإبداع... إذ ينطلق المبدع من واقع قبيح، ولكنه يُصوّره بطريقةٍ جميلة، لا ليكرّسه، بل ليُعرّيه، ويجعلنا نتلقّاه لنَفْهمَه بطريقة جيّدة...".

ومن مَعالِمِ القصيدة الماحِيّة الأخرى، التي تَنِمُّ عن تجْرِيبِيّتها في كثيرٍ من النصوص، نفَسُها الصُّوفي الذي يظهر في جملة من أزجال ماحي، والذي ألْمَعْنا إليه في موضع سابق؛ وانفتاحُها على مرجعيات مختلفة، وفي طليعتها الموروث الثقافي المحلي؛ من مثل أشعار عبد الرحمن المجذوب (ق 10ه)، عبْرَ آلية التناصّ الجلي والخفي، وتجدر الإشارة، ها هنا، بالذات، إلى أن ممّا وُصِف به ماحي "مجذوب القصيدة الزجلية الحديثة" بالمغرب؛ وانفلاتُها من عدد من قيود الزجل المألوفة بين كُتاب القصيدة الزجلية، على مُسْتويات اللغة والصورة والموسيقى وغيرها...

على سبيل الختم:

أتاحت لنا العناصرُ المتقدِّمة وضْع الإصبع على جملة من ملامح تجربة عبد الكريم ماحي في الكتابة الزجلية، التي تؤكد فرادتها على أكثر من صعيد، وقيمتها في الزجل المغربي المعاصر. ولكن - على الرغم من ذلك - لم تحْظَ بما تستحقه من عناية في الدرس الجامعي أو غيره، وهو ما يدعو إلى الالتفات إلى تلك التجربة الإبداعية، وتناوُلها في أبحاث نقدية معمقة. ولعل السبب في ذلك مرَدُّه إلى الحياة التي عاشها الراحل، على الهامش وفي الظل؛ فظل مغمورا، لا يعرفه أكثر نقاد الأدب المغربي، بَلْهَ غير المغاربة. لقد كان معروفا لدى الجَدِيدِيّين، يُصادفونه في المقاهي والأسواق والفضاءات العامة، ونُظِّمت له لقاءاتٌ هناك للتكريم والإنصات إلى زجله، وتظل أبرز التفاتة إلى

إبداعه هي تسمية إحدى التظاهرات الثقافية، التي أشرف الاتحادُ المغربي للزجل على تنظيمها في الجديدة، يومَيْ 19 و20 نونبر 2015، باسمه "دورة الزجال عبد الكريم ماجي". ولكن أكثرنا لم يكونوا يعرفون عنه شيئا يُذكر! ويبدو أن وفاته، ونَعْيه في وسائط الإعلام الاجتماعي، كانا عاملين عرّفا به على نحو أفضل، وقد يدفع ذلك، في المستقبل، إلى إيلاء إبداعه ما يستحقه من اهتمام نقدي، هو جديرٌ به بكل موضوعية.

لائحة المراجع

- شكيب عبد الحميد، في حوار مع الزجال عبد الكريم ماحي، جريدة "الاتحاد الاشتراكي"، ع. 2011/10/10.
- الاتحاد الاشتراكي، ع.13821، الإثنين: 2024/8/19، الصفحة الثقافية.
- حمادي تقوا، عبد الكريم ماحي: من جنون الجنون إلى ألْق السؤال وقلَقه، مجلة "الحوار المتمدن"، ع.5085، بتاريخ: 2016/2/25.
- محمد غزلي، الماحي (اللئيم) المحبوب، ضمن سلسلة "كتاب متسكّعون بمدينة الجديدة"، حلقتان.
- مقالات وموادّ متنوعة متاحة على الشابكة (اكتفيْتُ بالإشارة إلى أصحابها بين ثنايا المقال).